شعر الأطفال عند فاروق شوشة
في إطار شعر الطفولة في الألفية الثالثة

أ. مصطفي غنايم

كاتب أطفال، وناقد أدبي

فاروق شوشة وشعر الأطفال

يعد فاروق شوشة واحدًا من شعراء الجيل الثاني للحركة الشعرية الجديدة (شعر التفعيلة)، وإنْ مزج في دواوينه بين الشعر العمودى وشعر التفعيلة، إضافة إلى تنوع تجربته الشعرية، لتشمل في أخريات مسيرته الإبداعية مجموعات شعرية للأطفال. وإلى جانب إسهامه الإعلامي المقروء المتمثل في الصحافة الأدبية في مصر والدول العربية، مثل جريدة "الأهرام"، ومجلة "العربي" الكويتية. إضافة إلى تقديمه برنامجه الإذاعى الأشهر (لغتنا الجميلة)، وبرنامجه التليفزيوني (أمسية ثقافية)، والتي تضافرت جميعها في تجربة فاروق شوشة؛ لتجعل منه واحدًا من أكثر النماذج الأدبية تألقًا في العقود الأربعة الماضية[١].

وفي كل مجال من هذه المجالات فإن له مذاقه الأسلوبي الذي يحتفظ بملامحه الخاصة، ولا يختلط بغيره من أطياف الأساليب الأدبية الأخرى، وإنْ كانت تلتقى جميعها حول ركيزة أساسية واحدة، هى الموهبة اللغوية الفذة، والتمكن منها، وإجادة العزف عليها بتنويعات مختلفة.

ويأتي الشعر في بؤرة هذه الركيزة، وهو الأمر الذي أشار إليه "يوسف نوفل" في كتابه "الشاعران" حين قال: "لو لم يكن فاروق شوشة شاعرًا لما كان هذا العطاء الأصيل المتنوع بهذه الصورة من الانسجام والتكامل"[٢]، ليضيف نوفل كلمته الموجزة والمعبرة عن صاحب هذه المواهب، وعن الباعث الحقيقي لمنجزه الثقافي والإبداعي: "ومن هنا يمكن القول: إنما الفاروق شاعر"[٣].

وقد امتدت تجربة فاروق شوشة إلى نظم الشعر للأطفال في مرحلة متأخرة من حياته بعد أن رزق بأول حفيدة له "حبيبة"، ليبدأ في إبداع هذا النمط الجديد "شعر الأطفال،

---

(١) أحمد درويش: "فاروق شوشة .. الموهبة المتعددة الزوايا والمتنوعة العطاء" - مجلة الفكر المعاصر – مصر - الإصدار الثانى- العدد الرابع- يوليو ٢٠١٦.

(٢) يوسف نوفل: الشاعران .. فاروق شوشة، ومحمد إبراهيم أبو سنة – مكتبة الامل - ٢٠٠٨.

(٣) المصدر السابق.

والذي سيكون موضع بحثنا هذا .. تلك الأعمال التي تتألف في مجملها من سبعة أعمال صدرت في سبعة كتب، تضمنت سبع عشرة قصيدة، وسوف تتناول الدراسة ستًا منها، والتي صدرت في الحقبة محل الدراسة (الألفية الثالثة)، والتي تضم إحدى عشرة قصيدة، جاءت عناوينها حسب ترتيب صدورها كالتالي: ملك تبدأ خطوتها، وحكاية الطائر الصغير، وأغنية لمصر، والأمير الباسم، وأصدقائي الثلاثة، وحمزة.

وسوف تتعرض هذه الدراسة إلى رصد التأثيرات الكبيرة على أدب الأطفال، والتي طرأت عليه في ظل التحديات العالمية، والثورات المتعاقبة، وفي قمتها ثورة المعرفة والتكنولوجيا والمعلوماتية؛ فثمة تحولات جِذرية طرأت على أدب الأطفال في هذه الحقبة الزمنية، متمثلة لمستويات ثلاثة: مستوى الموضوع، ومستوى آليات الكتابة، ومستوى الوسائط التي يمكن تقديم الأدب عبرها[١].

وتساوقًا مع تلك التحولات فمما لا شك أنّ أسئلة أدب الأطفال وثقافتهم في الألفية الجديدة ينبغى أن تنصب على طرح الرؤى المغايرة والطموحة، والنظر إلى الأشياء والمعاني والصور التي أصبحت تمثل تجاوزًا للحدود الفاصلة بين خيال الأطفال الجامح، وأخيلة الكبار المرتكزة على المهارات العقلية؛ نظرًا لمحتواها الناضج وأساليب روايتها القديمة، فضلًا عن التركيز على رحلة الفرد الداخلية التي يخوضها نحو معرفة نفسه وفهمها بشكل أفضل، وتطوير علاقته بالوجود؛ بما يسود العالم من متغيرات تتسم بالتعقيد والتسارع. وفضلاً عن ذلك فقد حدد النقاد والدارسون عددًا من السمات الفنية لقصيدة الطفل منها: الروح الطفولية، والجملة البسيطة، المفردة السهلة، الأوزان القصيرة، التنويع في الأوزان والقوافي، والحركة، والقصر، والطرافة، والابتعاد عن الضرورة الشعرية، والتركيز على الجرس الموسيقى والأوزان الخفيفة (المجزوءات- والمشطورات)، والتكرار، والتعليمية.

وانطلاقًا مما سبق فسوف تتناول هذه الدراسة" شعر فاروق شوشة للطفل" من حيث السمات الفنية والجمالية على مستوى التعبير والتصوير ، فضلًا عن وعيه بقضايا الطفل في عصر الألفية الثالثة.

---

(١) محمود الضبع: أدب الأطفال بين التراث والمعلوماتية – الدار المصرية اللبنانية – ط١ – ٢٠٠٩

تمهيد

أدب الأطفال في الألفية الثالثة .. سمات ومضامين

فرضت ثورة المعلوماتية وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات طرقًا وأساليب جديدة على المجتمعات، ولعل الأدوات والوسائل المعاصرة التي يستخدمها البشر منحتهم نمط حياة مغاير لما سبق في أزمنة عبر تاريخ الإنسان على الأرض، إذن هي ثورة؛ ولذلك هي جديدة على النّاس؛ إذ تغيّرت المعايير والقيم والسلوكيات الاجتماعيّة، بل تتغير كلّ يوم نتيجة التقدّم المذهل بظلال الثورات العلمية المتلاحقة.

ومن السمات التي تميّز واقع الأحوال الراهنة: اختزال المسافات، واختزال الزمن، واختزال الكم والمساحة، واختزال الجهد والمهارات والإمكانات والوسائل والبدائل، وهذا يساعد على النجاح في التثقيف، الذي أضحى يعتمد على مقتضيات الثورات العلميّة المتلاحقة في فروع العلم التطبيقية والعلمية والاجتماعية، والتي تنعكس بالضرورة على المجالات الإبداعية.

إنّ العلاقة التي تربط التقدّم العلمي المذهل والحياة الاجتماعيّة المتغيرة هي علاقة جدليّة، تؤثر بعضهما بالبعض الآخر، بمعنى أن يعتمد التقدّم العلمي على متطلبات الحياة الاجتماعية الجديدة، والتي تهيئ بدورها البيئة المناسبة لولوج العلم بتفسير المتغيرات، ووضع الحلول لتعقيدات الحياة، مما يؤدّي إلى توظيف ما تنتجه الثورات العلمية من أجل تطور مطرد ومتلاحق يعتمد على الاختزال في الأشياء كلّها، وليس جديدًا أو غريبًا حين يلاحظ المرء تفوق أجيال الطفولة على أجيال الكبار بمعرفتهم استخدام أدوات ثورة المعلومات والتكنولوجيا المعاصرة والاستفادة منها، ومن ثمّ تطوير قدراتهم الذهنية والمعرفية على نحو مستقل عن آبائهم أو معلميهم في المعاهد والمدارس والجامعات.

ولعلّ التثقيف عن طريق التكنولوجيا المعاصرة والثورة الرقمية يختلف عن التثقيف في العصور الماضية، وأهم ما في هذا التثقيف أنّه لا يعتمد على حشو المعارف والمعلومات وتكثيرها في عقول الأطفال، بل ينبغى أنّ توجّه لتفعيلها في السلوك والعواطف والمعرفة من خلال اختزاله؛ بغية استدعائها عند الحاجة، وهذا يقضي بتدريب الطفل منذ المراحل المبكرة للطفولة على عمليات الفهم والاستيعاب والتأويل والتحقيق والتقويم؛ ومن ثم إعادة تدوير المعلومات للاستفادة منها؛ من أجل الولوج بسلوك يتسم بالتحضّر، الذي يتسم بقيم مختلفة،

ومن ثَم سلوك مختلف، وفي الإجمال فإن هذا التطور التقنى يحتّم علينا ضرورة تغيير المداخل التربوية والتعليمية في التعامل مع الأطفال، وتوجيه قدراتهم.

أدب الطفل في العالم العربي

وحري بنا أن نقرر أن أدب الأطفال بالرغم من كونه يعد رافدًا يصب في تيار الأدب بصفة عامة، فإن له شخصيته المستقلة، وهويته المتميزة؛ إذ يتفق في مبادئه العامة مع أدب الكبار، ولكنه في الوقت ذاته يمتلك مقاييس جمالية خاصة به؛ إلا أنه يمكن أن يعرف بأنه "خبرة لغوية في شكل فني، يبدعه الفنان خاصة للأطفال فيما بين الثانية والثانية عشرة، أو أكثر قليلًا، يعيشونه ويتفاعلون معه، فيمنحهم المتعة والتسلية، ويدخل على قلوبهم البهجة والمرح، وينمي فيهم الإحساس بالجمال وتذوقه، ويقوي تقديرهم للخير ومحبته، ويطلق العنان لخيالاتهم وطاقاتهم الإبداعية، ويبني فيهم الإنسان"[١].

وانطلاقًا من تحديد وتعريف أدب الأطفال فلا بد أن نلقي بإطلالة سريعة على تاريخ أدب الأطفال في العالم العربي، وتطوره، بدءًا من رائد النهضة العربية رفاعة الطهطاوي، الذي يعد أول من كتب قصيدة خاصة بالطفل، إلّا أن ما فعله لم يزد على عدة قصائد وأناشيد، مرورًا بما فعله محمد عثمان جلال من عمل ضخم، مدهش في لغته وأفكاره وصياغته وحجم إنتاجه، وذلك عندما وضع كتابه "العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ" الذي يرجَّح أن الطبعة الأولى له صدرت بين عامي ١٨٤٩ و ١٨٥٤[٢].

والحقيقة أن ما ذكره جلال قد يوحي بأن الكتاب ترجمة دقيقة وكاملة لحكايات لافونتين، لكن من يتفحص في العيون اليواقظ سيعلم أنه حوى قصصًا من التراث الشعبي المصري والتراث العربي، إضافة إلى قصائد ليس فيها حكاية، بل فكرة وموعظة.

ليأتي الدور على أحمد شوقي باعتباره رائدًا من رواد أدب الطفل في العالم العربي؛ منذ نظم حكاياته الشعرية المستوحاة من "كليلة ودمنة" متأثرًا في ذلك بالشاعر الفرنسى "لافونتين"، والتي تميزت بخلوها من الحذلقة اللغوية، ومراعاتها الخصائص الأساسية لنصوص الأطفال الشعرية، من حيث اللغة السهلة والطرافة والوزن الخفيف، كما في حكاية "الثعلب والديك"[٣]

---

(١) على الحديدى: في أدب الأطفال- مكتبة الأنجلو المصرية- ط ٦ - ١٩٩١.
(٢) بيان الصفدك أدب الأطفال في العالم العربي - وزارة الثقافة السورية - ط١.
(٣) المرجع السابق.

إلى أن قام إبراهيم العرب عام ١٩١١م بوضع كتابه "آداب العرب" والذي يمثل مجموعة إرشادات، الأمر الذي جعل "نظارة المعارف العمومية"، تقرر طبعه على نفقتها وتدريسه في المدارس الابتدائية، بنين وبنات وفي مدارس المعلمات السنية، ومدارس معلمي الكتاتيب"، وقد حوى تسعًا وتسعين حكاية شعرية مأخوذة من لافونتين، وكليلة ودمنة.

وبعد ذلك تأتى تجربة الشاعر الكبير محمد الهراوي، والتي تميزت بالفرادة؛ إذ وقف معظم ما كتب على شعر الأطفال، بينما جميع من سبقوه لم يتفرغوا لهذا اللون، ولم يقدموا هذا الحجم من العطاء، إضافة إلى أن قصيدة الطفل العربية دخلت أول مرة على يديه في الخصوصية الفنية الحديثة لشعر الأطفال، وكانت نقلة نوعية خلصت ما كتب للأطفال من اللغة الصعبة، ومن الوعظ المباشر الخالي من الظرافة والإيحاء والبساطة، فضلًا عما قام به من تجديدات تمثلت في كتابة قصائد قصيرة للأطفال الصغار جدًا.

وقد شهدت مصر بعد ذلك ظهور عدد من الأدباء الذين تفرغوا لأدب الطفل، يبرز في مقدمتهم كامل كيلاني، الذي قدم للمكتبة العربية أغزر عطاء عرفته حتى الآن، بلغة سليمة جميلة، ورؤية إبداعية شاملة، ولم يكتفِ كيلاني بالترجمة والإعداد والتأليف القصصي والمسرحي، بل وضع للأطفال عددًا لا بأس به من القصائد، وهي مبثوثة في مختلف الكتب التي نشرها، وقبل ذلك عاشت أجيال من الأطفال العرب على كتابته لرحلات السندباد البحري. ومما يلاحظ على ما كتبه كيلاني من شعر ونثر أنه نقل أدب الأطفال خطوات واسعة إلى الأمام من جميع النواحي التي تخصّ التربية، والخصائص الفنية.

ثم تتوالى التجارب التي ظهرت منذ السبعينيات واستمرت حتى عصرنا الراهن، والتي تعطي مؤشرات على أن نهضة نوعية قد حدثت في أدب الأطفال بصفة عامة، والشعر منه بصفة خاصة، وقد انطلقت هذه النهضة مع العناية الجديدة بأدب الأطفال، والتوسع في نشره في المجلات بصورة خاصة، فبدأت تظهر تجارب كثيرة ومتواصلة من قبل شعراء مثل: أحمد الحوتي، وأحمد سويلم، وسمير عبد الباقي، ومحمد الشافعي، وأحمد زرزور، وأحمد فضل شبلول، وغيرهم.

أدب الأطفال في الألفية الثالثة

مما لا شك فيه أنه في هذا العصر لا يستطيع أحد تجاهل طغيان "ثقافة الصورة" على عصرنا الراهن، بحيث شرعت ثقافة العروض المسرحية، أو الكتابة في التحوّل من

المسارح والأقلام والورق والأحبار والمطابع إلى الشاشات والوسائط الإلكترونية المتاحة في كلّ الأوقات، و: "أصبح محتّمًا أن نستفيد من عدد كبير من الوسائط التي اكتسبت أهمية رئيسة وبارزة، ومع ذلك فلسنا منتبهين بما يكفي إلى قدرتها الهائلة على المساهمة في تنمية عادة القراءة عند الأطفال، ودورها غير المحدود في إتاحة المعلومات بأساليب تفاعلية فعّالة"[١].

وبالفعل، فأدباء الأطفال والمربون في مجتمعنا لم يلحظوا حجم المستجدات التي طرأت على مناهل الطفل المعرفية والسلوكية والثقافية، ولم يعرفوا كيف ينشئوا متاحف أطفال حديثة، أو يستفيدوا من المراجع الأساسية، مثل: الموسوعات، ودوائر المعارف المتاحة بشكل كبير في الشبكة العنكبوتية، ولم يطوروا بحوثهم للاستفادة من إمكانات الشاشات الإلكترونية، والوسائط الاتصالات المتعددة.

ولم تلحظ المؤسسة التربوية، وكثير من أدباء الأطفال أن الأسلوب التعليميّ التقليديّ في تقديم كثير من المواد مثل التاريخ والجغرافيا وحتى العلوم، الذي يعتمد على تقديم المعلومات على نحو لا يتطلب من المتلقي إلا الحفظ والتلقي السلبي فحسب، لم يعد يجدي في عملية تأهيل جيل يستطيع أن يواكب الثورات العلمية الكونية راهنًا؛ لأن ذلك الأسلوب التقليدي الذي يعتمد التلقين والتكرار لا يتيح للأطفال أيّة إمكانية ليتفاعل مع عملية الإبداع، أو القيام بأي نشاط إيجابى يكون فيه احتكاك مباشر مع الفعاليات التي يقوم بها، كما: "يفعل في أثناء انشغاله بمختلف أنواع اللعب مثل لمس المجسّمات، أو إعادة تركيب أجزائها، وهذا ما يطلق عليه: التعليم التفاعليّ بتقديم المعرفة والتعليم بالوسائل التي هيّأت بها الطبيعة الأطفال لاكتشاف العالم"[٢]؛ بغية اكتساب الخبرة، وتوسيع التجربة، ومواجهة الجديد.

وبعد انتصار العلم، وتسارع نجاح الثورات العلمية التي تغير مسار التاريخ بشكل مستمر نحو الأفضل، ومقتضيات ثورة التكنولوجيا والمعلومات والاتصالات الرقمية فلا بد أنّ يختلف مفهوم أدب الأطفال عن تعريفاته السابقة؛ إذ لم يعد يقتصر على كونه مجرد تعبير أدبي جميل موجه إلى الطفل من سن الإدراك حتى سن المراهقة، بمعناه العام، أو بمعناه الخاص: بأنّه الكلام الجيد الذي يحدث في نفوس الأطفال متعة سواء كان شعرًا، أو نثرًا ..

---

(١) يعقوب الشاروني: أسرار الكتابة للأطفال، بحوث ودراسات، (ط١، مؤسسة حورس الدولية: الإسكندرية، الريادة للدراسات والنشر، دبي) ٢٠١٩.
(٢) المصدر السابق.

شفويًّا بالكلام، أو تحريرًا بالكتابة[١]، فأدب الأطفال اليوم يتعلق بقدرته على تحفيز التفكير لدى الأطفال؛ ليواكب ما هو متغيّر بشكل سريع، ليس فقط على المستوى المعرفي، بل على المستوى القيمي والعاطفي، ومن ثمّ السلوكيّ.

ومن ثم فقد حان الوقت ليندمج كاتب أدب الأطفال مع عالم الطفولة الذي ينبني تعالقًا مع وسائط التكنولوجيا المعاصرة، ويعيد النظر فيما يكتب؛ ليستقرئ أفكار طفل اليوم، من أجل أن يمتلك زمام الوصول إلى قلبه؛ لأن في أدب الأطفال عوالم مستعارة تميل إلى التحليق الخيالي عن طريق أدوات ووسائل وأساليب من أجل مقاربة أدق للواقع، "لقد أضحى إدخال الخيال العلمي كأسلوب من الأساليب الحديثة في أدب الطفل، ضرورة كضرورة المخترعات الحديثة"[٢] ليشعر الطفل بأنه في عالمه الواقعي، وكي يستطيع التلاؤم مع بيئته، وهذا ما أجاده كتاب قليلون، وأخفق فيه الكثيرون.

ولعلّ تأثيرات الصعود التكنولوجي وثورة الاتصالات والتفجر المعلوماتي تلعب الدور الأساس في تشكيل إمتاع الطفل، ومؤانسته وتربيته، وتراكم خبراته ومعارفه، مما يضخّم التحديات أمام العاملين بالكتابة للأطفال، ويدفعهم إلى مواجهتها بإنتاج أدبي متلائم مع معطياتها، وهذا يقتضي التصدي لحالة التنميط السائدة في إنجاز أدب مكتوب للطفل خارج منطق العصر الذي نعيشه، حيث أصبحنا نعيش في عالم مكشوف ومفتوح على بعضه البعض، ولعل الأطفال هم الأكثر مقدرة للتجاوب مع هذا العالم المتغير والمتسع والمفتوح.

وإذا كنا نؤكد أن ثمة تأثيرات كبيرة على أدب الأطفال طرأت عليه في ظل التحديات العالمية، والثورات المتعاقبة، وفي قمتها ثورة المعرفة والتكنولوجية والمعلوماتية؛ فثمة تحولات جذرية طرأت على أدب الأطفال في هذه الحقبة الزمنية، متمثلة لمستويات ثلاثة: مستوى الموضوع، ومستوى آليات الكتابة، ومستوى الوسائط التي يمكن تقديم الأدب عبرها[٣].

وتساوقًا مع تلك التحولات فمما لا شك فيه أنّ أسئلة أدب الأطفال وثقافتهم، والتي اتسمت بالمعالجة الوصفية والتاريخية في السبعينيات، وانتقلت منها إلى المعالجة النقدية في أخريات التسعينيات، والتي تمخضت مع تباينّ موضوعات الكتابة للأطفال خلال سبعينيات

---

(١) ليلى بنت عبد الله البلوشي وأخريات: أدب الطفل في دولة الإمارات، (المجلس الأعلى لشئون الأسرة، وإدارة مراكز الأطفال والفتيات، دائرة الثقافة والإعلام: الشارقة).

(٢) هيثم يحيى الخواجة ـ مشكلات الكتابة للأطفال، رؤية وتجارب، (دائرة الثقافة والإعلام: الشارقة)، ط١، ٢٠١٠.

(٣) محمود الضبع: أدب الأطفال بين التراث والمعلوماتية ، الدار المصرية اللبنانية ـ ط١ ـ ٢٠٠٩.

القرن العشرين وثمانينياته، والتي كانت تعالج الشخصيات الخيالية الخارقة - انتقلت رويدًا رويدًا إلى أسئلة مغايرة تدور حول حقوق الطفل، وعلاقة أدبه بواقعه، وتوافر الطبيعة الفنية فيه، إذ تغيرت الموضوعات، وبات أدباء الأطفال يعالجون موضوعات واقعية لأشخاص موجودين؛ إذ نحا إنتاجهم تّجاه الواقعية الاجتماعية، ومن ثم فينبغى في الألفية الجديدة أن تنصب الموضوعات على الرؤى المغايرة والطموحة، والنظر إلى الأشياء والمعاني والصور التي أصبحت تمثل تجاوزًا للحدود الفاصلة بين خيال الأطفال الجامح، وأخيلة الكبار المرتكزة على المهارات العقلية؛ نظرًا لمحتواها الناضج، وأساليب روايتها القديمة، فضلًا عن التركيز على رحلة الفرد الداخلية، التي يخوضها نحو معرفة نفسه وفهمها بشكل أفضل، وتطوير علاقته بالوجود؛ بما يسود العالم من متغيرات تتسم بالتعقيد والتسارع.

ومن ثمّ بات من الضرورة بمكان أيضًا أن تترسّخ هذه الأسئلة في شكل جديد للخطاب الثقافي، عماده: السؤال عن منظومة القيم، والاستراتيجية الثقافية العربية الإسلامية، والصورة المستقبلية للطفل العربي، وربط ذلك الخطاب العربي في حاضره وتطلعاته، وأثر هذه الثقافة السائدة في شخصية الطفل، وأساليب تربية الإبداع والقراءة لديه، وملاحقة وسائل الإعلام في لغته.

ويرتبط بهذه الأسئلة، وتلك الثقافة ضرورة أن يكون أدب الطفل في عصر الألفية على اتصال بعلم النفس والدراسات التربوية؛ لما لها من أثر فعَّال في التعامل مع النفس البشرية، ولا سيما التأثير على أجيال الطفولة، وخلق البيئة المناسبة لإنتاج أدب الطفولة واستقباله، والحصول على إدهاش الطفل وإمتاعه، وتعليمه وتربيته، إذ إننا لا نتصور أدبًا يتوجه إليه دون إثارة وإمتاع؛ لأنه لا بد - عندئذ - أن يبقى في الظل بعيدًا عن الطفل، ومن هنا يتبين لنا مقدار الإخفاق الذي طال أدب الأطفال غير الجماهيرى؛ لأنّه أهمل الإثارة والإمتاع والدهشة؛ فكاتب الأطفال كان همه وديدنه البحث عن كنوز نادرة الوجود ليستغلها في إبداعه، وهذا لا يعني إهمال القيم والأفكار السديدة والمعلومة الجيدة، وإنما يعني أن التشويق والاندهاش واللعب والترفيه والإبداع خمسة أقانيم تحدد الإطار العام لأدب الأطفال.

سمات أدب الطفل

وإذا كان للأدب - عمومًا - تقنيات وأدوات تتحدد تبعًا للنوع الأدبي (رواية، ومسرحية، وقصة، وشعر) فان: "أدب الأطفال لا يختلف كثيرًا عن هذا المفهوم، ولا هذه

التقنيات، اللهم إلا في العناية بأساليب العرض، وطرق التقديم، والالتزام بكثير مما يمكن لأدب الكبار أن يتجاوزه؛ لأنّ المتلقي / الطفل يختلف في وعيه باللغة والمفاهيم والمعارف عن المتلقى الكبير، فضلًا عن تباينهم في التلقى حسب شرائحهم العمرية"[١](*).

وإذا كان العصر الحديث يتوجه نحو مزيد من التعقيد بسبب تطور المخترعات الحديثة وتشبعها، فإن ضرورة تكريس منهجية ومعايير الكتابة للأطفال تغدو ملحة في هذا العصر؛ ليكون الأدب متميزًا ولائقًا ومواكبًا للكتابة، ومثيرًا في الوقت ذاته.

وتختلف السمات العامة لأدب الاطفال من حيث الشكل أو الأسلوب من جهة، ومن جهة أخرى من حيث المضمون والمحتوى والقضايا، وإذا كان الشكل يتعلق باللغة والإيقاع وطرق بناء الصورة، فإنّ قضية المضمون يعالج فيها الموضوع والتيمات الفرعية، والمعارف المكتسبة، والموقف من القيم والتقاليد، ومقدار اقتراب الأدب من نتاجات العلّم والتعليم.

وفي كلتا الحالتين فإنّ لأدب الأطفال **بواعث ودوافع تتعلق بـ: "**الخيال والتخيل، والمعرفة، وتنمية مهارات الاتصال والتواصل، وتنمية الذوق الأدبي، والتسلية، والمتعة والتشويق، وتنمية المعجم اللغوي"[٢]، ولكن هناك مسألة أخرى يأخذها مبدعو أدب الأطفال في الاعتبار، تتعلق بالمراحل العمرية للطفولة، وقد قسّمت في المراجع كلها وفق أعمار الأطفال، **وأشبعت درسًا بتحديد معالمها الأساسية وسماتها المشتركة على الشكل الآتي:**

- المرحلة الأولى (٣ - ٥): عالم محدود، وخيال حاد.
- المرحلة الثانية (٦ - ٨): الاكتشاف والتعرف.
- المرحلة الثالثة (٩ - ١١): التمرد والتفرد.
- المرحلة الرابعة (١٢ - ١٦): البحث عن المثال.

خصائص شعر الأطفال

ولأن هذه الدراسة تختصّ بجانب واحد من أدب الطفولة، وهو الشعر، فلا بد من تقديم وجهات النظر المتعددة حول خصائص شعر الأطفال، وهي مستمدة من المعايير التربوية والنفسية، ومن الأدوات الفنية وطريقة استخدامها عند الشعر؛ إذ بات بإمكاننا

---

(١) المرجع السابق.
(٢) نفسه.

الحديث عن هذه الخصائص بعد أن نشطت حركة الكتابة للأطفال وعززها صدور عشرات المجلات العربية، وحاجة وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، إضافة إلى الكتب المدرسية التي تطورت كثيرًا عن حالتها الأولى، وصارت تراعي أن تضع في دروس النشيد والنصوص الشعرية نماذج تلتزم فيها العذوبة والسهولة. **وقد أجمل أحمد زلط عددًا من معايير (مقاييس) تقدير النص الأدبي[١] ، نذكر منها:**

١. أن يكون النص الموجه للطفل مكتوبًا إليهم في الأساس، وليس عنهم.
٢. أن تكون لغة النص فصحى ميسرة، خالية من التعقيد (الألفاظ سهلة قليلة، الجمل قصيرة، والفقرات أو الابيات مختصرة، والبحور مجزوءة وموقعة التنغيم).
٣. تبسيط العناصر الفنية الدرامية، والابتعاد عن التعقيد الفني، والسرد المطول، والخيال المركب.
٤. مراعاة عقل وإدراك الطفل، فالنص يجب أن يتفق وخصائص عمر الطفل النمائية المألوفة.
٥. تضمين المادة الأدبية: القيم، والمعارف، والوجدانيات في قوالب الأنواع الأدبية.

وقد حددت ليلى البلوشي خصائص شعر الأطفال بالآتي:

١. أن تكون موسيقى الشعر خفيفة سهلة تشوق الأطفال، وتطرب مسامعهم.
٢. العناية بالفكرة بأن تكون مركزة ومكثفة.
٣. اختيار الموضوعات الشعرية المناسبة التي تعبر عن عالم الطفل الخاص، بأن تكون موضوعات حركية تبعث الفرح والسرور، وأن تكون مفعمة بالطرب الجميل، وتبتعد عن المثيرات الحادة، كالرثاء أو الهجاء أو القسوة الشديدة.
٤. تكون اللغة مناسبة للمرحلة العمرية، والنمو الفكري للطفل.
٥. تتسم القصائد بالمناسبة، والقصر، والبعد عن الأناشيد الطويلة؛ لأنّها تسبب صعوبة في حفظها وترديدها.
٦. أن يشحذ الشعر خيال الطفل ومداركه كلها، شعر يفتح الآفاق ويكون لديه رؤى تمكنه من تخيل أشياء كثيرة جدًّا، من دون أن نستخف بعقله، أو نبالغ في رسم هذا الخيال، فلا بد من ربط الخيال بهدفٍ عالٍ يثري خبرة الطفل وثقافته، ويوسع آفاقه

---

(١) أحمد زلط : أدب الطفل العربي .. دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل، دار هبة النيل للنشر والتوزيع - ط١ – ١٩٩٨.

ويسهم في إنماء قدراته الإبداعية، وأن يبعد هذا الخيال عن الرمز أو التلميح المستعصي[١]، ويتساءل هيثم يحيى الخواجة عن: "أهمية الشكل في شعر الأطفال، الذي يحبّ بعضهم النموذج التقليديّ، بينما يفضل آخرون شعر التفعيلة، ويعدّونه الأحسن والأهم"[٢]، ويبدو أنّ من يدافع عن شعر البحور والتزام بالقافية هم من ينتصرون على تنشئة الطفل على ما اشتغل عليه أسلافهم.

والأكثر أهميّة أن تتضح الصورة الشعرية، وأن تكون مدلولاتها سهلة الوصول إليها، وتتناسب مع الذخيرة المعرفية واللغوية، والمرحلة العمرية، والتجربة المعيشية المرتبطة بالمجتمع الذي يوجّه إليه الشاعر قصائده.

وقد اهتمّ الشعراء العرب القدماء بالغناء والتوقيع، وتبعهم شعراء الأطفال في العصر الحديث، إذ: "أكّدوا على ضرورة التناغم بين الشكل والمضمون؛ نظرًا لأن الاهتمام بالإيقاع يعد ضرورة لازمة في شعر الأطفال"[٣]. وباعتبار أن الفكرة لها أهمية كبيرة، فضلًا عن الصورة الشعرية - الحسية والمتخيلة - التي لا يمكن أن تخلو منها القصيدة المبدعة الجميلة.

وليس معنى تحديد خصائص لأدب الأطفال أن تكون بمثابة برنامج يتحتم أن يلتزم به الشاعر في كل بنوده، بل عني النقاد بوضع هذه القواعد على أنها أساس لقصيدة الطفل الناجحة، وقد يركز شاعر على جانب أكثر من جانب، وقد يهمل أحيانًا خصيصة، وربما يضيف في بعض الأحيان خصائص أخرى، **وقد ذكر هيثم يحيى الخواجة بعض الخصائص والسمات، مثل:**

١. الروح الطفولية.
٢. الجملة البسيطة.
٣. المفردة السهلة.
٤. الأوزان القصيرة.
٥. التنويع في الأوزان والقوافي.
٦. الحركة والقصر والطرافة.

---

(١) ليلى بنت عبد الله البلوشي وأخريات: أدب الطفل في دولة الإمارات، (المجلس الأعلى لشئون الأسرة، وإدارة مراكز الأطفال والفتيات، دائرة الثقافة والإعلام: الشارقة).
(٢) هيثم يحيى الخواجة: مشكلات الكتابة للأطفال، رؤية وتجارب، (دائرة الثقافة والإعلام: الشارقة، ط١، ٢٠١٠).
(٣) المرجع السابق.

٧. الابتعاد عن الضرورة الشعرية.
٨. التركيز على الجرس الموسيقي والأصوات (المجزوءات، والمشطورات).
٩. التكرار.
١٠. التعليمية.

وإذا كان الشعر هو الكلام الذي يعبر عن مكونات النفس البشرية وخلجاتها سواء كان تقليديًا أو حديثًا، شريطة أن يتدرج بالخيال والموسيقى عبر لغة منتقاة - فإنه من أكثر فنون الأدب التي يحبها الأطفال، ويشغفون به؛ لما يتميز به من مؤثرات فنية، منها:

١. انتقاء الموضوعات الفنية.
٢. اختيار الألفاظ ذات الدلالات.
٣. انتقاء نسق التركيب الذي يعبر عن خلجات النفس.
٤. التركيز على نمط الجملة المناسبة.
٥. استخدام التعبيرات غير المباشرة.
٦. الاعتماد على الخيال والتصوير الحسي والمعنوي.

إن عصرنا الحديث يحتاج إلى أدباء يربطون أدب الطفل بالواقع، ويرسخون القيم النبيلة في وجدانه؛ لأن هذا الطفل سيكون رجل المستقبل، ومن حقه أن يُهَيَّأ؛ ليكون على قدر المسئولية التي سيتحملها.. ومن هنا تغدو الكتابة له محفوفة بالأشواك.

ويتحدث د. حسن شحاتة في كتابه "أدب الطفل العربي"[١] عن معايير اختيار الشعر للأطفال، فحصرها في:

١. دوران الشعر حول هدف تربوي.
٢. بساطة الفكرة ووضوحها، وتناولها المعاني الحسية.
٣. ارتباط الشعر بالمعجم اللغوي للطفل.
٤. ارتباط الشعر بالفكاهة والبهجة والسرور المملوءة بالحيوية.
٥. تنمية خيال الأطفال، وإيقاظ مشاعرهم، وإحساسهم بالجمال.
٦. الإيقاع الشعري المتكرر.

---

(١) حسن شحاتة: أدب الطفل العربي .. دراسات وبحوث، الدار المصرية اللبنانية - ط١ - ٢٠٠٤.

٧. تنويع شعر الأطفال (بمعنى ألا يقتصر على المحفوظات والأناشيد، بل يشمل كذلك القصة الشعرية، والتمثيلية، والمسرحيات والأغنيات والألغاز).

سمات ومضامين

لم تعد المضامين ما تهيم في فضاءات الفراغ بصياغات كلامية مفيدة، بالأخص حين يقف كاتب أدب الأطفال عند حدود العاطفة، أو يحشو نصّه تراكيب جوفاء، غايتها إبراز التمكن من البلاغة؛ لأن طفل اليوم امتلك وعيًا إضافيًا فوق وعيه الطبيعي من جراء بعض النتائج المذهلة التي تحققت في عصرنا بظل ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الرقمية التي ساعدته على ذلك.

إذًا كان علينا أن نتفهم هموم الصغير، ونخاطب أحلامه، ونجعل أشرعة الحق والخير والعدل .. فلا الصدق ترسو في قلبه ووجدانه من خلال رسم خرائط مشوقة في الأدب فـ: "إن في الشعر فنًا أدبيًا خصبًا لتوصيل هذه القيم، وهو من السهل الممتنع؛ لاشتماله على الفكرة العميقة بطريقة سهلة تتناسب وعقل الطفل وتفكيره، ملبيًا حاجة من حاجاته النفسية والمعرفية، ومستخدمًا المفردات اللغوية ضمن المعجم الخاص بعمره العقلي والعلمي، ومحققًا الصور الفنية في حدود إدراكه ومختارًا له الأوزان البسيطة لتحقيق إيقاعات هادئة"[١].

وقد قامت التربية التقليدية على إخضاع الأجيال الجديدة لقيم الجيل القديم، وتجريم من يتجرأ بالتجديد، بل تحريم الخروج عن المألوف؛ خوفًا من زعزعة استقرار المجتمع؛ لذلك حفلت القصص القديمة، بتبيان النتائج السلبية لمحاولات التغيير التي تطال الذات وتمتدّ خارجها، وبتقييد حبّ الاستطلاع، والسعي في دروب البحث عن أسئلة الوجود.

انعكست توجهات وأهداف التربية الحديثة في عصرنا الحالي عمّا كانت عليه، إذ "أصبحت تعتدّ بإثارة حوافز الأجيال الجديدة على حبّ الاستطلاع، وتشجيع الأطفال على التنقيب عن تفسيرات جديدة، أو ترسيخ حقوق أصيلة، أو تأصيل ما هو إنسانيّ"[٢]، حتّى لو خالفوا بنشاطهم ما هو متعارف عليه، وعارضوا القيم السائدة التي تعوق فعل تقدمهم، لا

---

(١) هيثم يحيى الخواجة: مشكلات الكتابة للأطفال، رؤية وتجارب، دائرة الثقافة والإعلام: الشارقة، ط١، ٢٠١٠).

(٢) يعقوب الشاروني: أسرار الكتابة للأطفال، بحوث ودراسات، (ط١، مؤسسة حورس الدولية: الإسكندرية، الريادة للدراسات والنشر، دبي) ٢٠١٩.

سيما العيوب النسقية المتأصّلة في المجتمع، ومن ثم يتوجب على نص الطفل الشعري أن يقدم نموذجًا يعلمه الفكرة واللغة والحس الإيقاعي، لا أن يغرس لديه حالة مشوشة .

المراجع:

١. أحمد درويش: "فاروق شوشة .. الموهبة المتعددة الزوايا والمتنوعة العطاء، مجلة الفكر المعاصر، مصر، الإصدار الثاني، العدد الرابع ، يوليو ٢٠١٦.

٢. بيان الصفدي: أدب الأطفال في العالم العربي، وزارة الثقافة السورية، ط١.

٣. حسن شحاتة: أدب الطفل العربي .. دراسات وبحوث، الدار المصرية اللبنانية، ط١. ٢٠٠٤.

٤. علي الحديدي: في أدب الأطفال، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٦. ١٩٩١.

٥. - ليلى بنت عبد الله البلوشي وأخريات: أدب الطفل في دولة الإمارات، الشارقة: المجلس الأعلى لشئون الأسرة، وإدارة مراكز الأطفال والفتيات، دائرة الثقافة والإعلام.

٦. محمود الضبع: أدب الأطفال بين التراث والمعلوماتية، الدار المصرية اللبنانية، ط١. ٢٠٠٩.

٧. هيثم يحيى الخواجة: مشكلات الكتابة للأطفال، رؤية وتجارب، الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، ط١. ٢٠١٠.

٨. يعقوب الشاروني: أسرار الكتابة للأطفال، بحوث ودراسات، الإسكندرية: مؤسسة حورس الدولية ، دبي: الريادة للدراسات والنشر، ط١. ٢٠١٩.

٩. - يوسف نوفل: الشاعران .. فاروق شوشة، ومحمد إبراهيم أبو سنة ، المؤلف، ٢٠٠٨.